Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

Studies in Spirituality - Weekly Torah Portions by Rabbi Lord Jonathan Sacks zt"l

في رِحاب التّوراة

دِراساتٌ وحِواراتٌ روحانيّة مُعمّقة في النّصوصِ التّوراتيّة الأسبوعيّة مع الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

The Original text in English and translations to other languages can be found here:
/https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation/chayei-sarah/a-call-from-the-future

"حَيي ساره" هو النصّ الأسبوعي الخامِس من كتاب "بريشِيت" (سِفر التكوين) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المَقطع الثالثِ والعشرين وينتهي بالآية الثامنة عشر من المَقطع الخامِس والعشرين.

نِدَاءٌ مِنَ الْمُسْتَقْبَل

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

كان يبلغُ من العُمرِ مئة وسبعة وثلاثين عاماً، ثمّ مَرّ بتِجرِبَتينِ مَريرَتين تتعلّقان بأقربِ النّاس إليه في الحياة. التّجربةُ المريرةُ الأولى تتعلّقُ بابنِهِ يِتسحَق/إسحَق الذي انتظَرَ قدُومه بفارِغِ الصبر، خاصة بَعد أن فقدَ الأملَ هوَ وزوجَتُهُ ساره من قُدرتهما على الإنجاب، إلّا أنّ الله عَزّ وجَلّ وَعَدهُما بأنهُما سيُنجِبانِ طفلاً، وبأنه سيُكمل مسيرة العهد التي بدأها والِده. لكن مَرّت السنين وصارَت ساره تتقدّمُ في العُمر شيئاً فشيئا ولم تَحمِل بعد، بيدَ أن اللهَ عزّ وجلّ ظلّ يوكِّدُ لها بأنها ستُنجِب طِفلاً.

وبنهاية المَطاف، وبعد طول انتِظار جاء هذا الطِفل، وغمرتهُما البهجة والسرور عند قدومه، فقالَت ساره حينها: **"وقالَت ساره: قَد صَنَع لِيَ اللهُ سُروراً، كُلّ مَن سَمِع فَرِح لي"** تِبعا لما هو مذكور في الآية السادسة من المقطع الحادي والعشرين من سفر التكوين. ثُمّ جاءَت تِلكَ اللحظة المُروّعة عِندما أمَرَ اللهُ عَز وجَلّ أڤرهام/ إبراهيم قائِلاً: **"خُذ ابنَك وحيدَك الذي تُحِبّهُ، هوَ يِتسحَق، وامضِ إلى بَلدِ العِبادة وقرّبهُ ثَمّ لِقُربان، على أحدِ الجِبال الذي أَقولُ لَك"** تبعاً لما تذكره الآية الثانية من للمقطع الثاني والعشرين. لَم يعترضُ أڤرهام على هذا الأمر الإلهي ولم يتردّد لحظة في تَنفيذه، فاصطحبَ ابنهُ يِتسحَق إلى حيثُ أمرهُ الله أن يذهب، وفي اللحظة الأخيرة جاء أمرٌ إلهيّ يطلبُ من أڤرهام بأن "يتوقّفَ" على الفور. والسؤال الذي يَطرحُ نَفسهُ هُنا: كيفَ بإمكان الأبِ، والابنِ على وجه الخصوص، أن يتجاوَزا صَدمة مروّعة كهذه؟

أما بالنّسبة للتجربة المَريرة الثانيّة التي مَرّ بها أڤرهام فكانَت تتعلّقُ بِزَوجته الحبيبة ساره حينَ فارَقَت الحياة. لقد كانَت ساره بالنّسبة له شريكةً ورفيقةً على الدّوام، شاركتهُ الرّحلة التي مضى بِها عندما ترَكا خَلفهُما كُل شيءٍ: أرضهُما ومَسقط رأسيهِما وأهلهُما وأحبائهُما. كما أنّها أنقذَت حياتهُ مَرّتين عِندما ادَّعَت بأنها شقيقتُه.

بالتالي ماذا عسَى رجل بلغَ من العمر مئة وسبعة وثلاثين عاماً أن يفعل بعد كلّ هذا؟ (أو مثلما تنعته التوراة بأنُه "**شاخَ وطَعَن في السنّ**" كما ورد في الآية الأولى من المقطع الرابع والعشرين من سفر التكوين). في حالة كهذه ليس من المُستغرب أبداً أن يقضيَ أفرهام بقيّة حياته حزيناً مُنكسراً، خاصة وأنه قام بِكُلّ ما أمرهُ الله عزّ وجلّ به، في حين أن الوعودَ التي قطعها اللهَ عزّ وجلّ لأفرهام لم تتحقّق بعدُ خلال تلك الفترة، فقد وعدهُ الله سبعَ مَرّات بأن أرض كَنعان ستكون لهُ، لكن عندما توفَّيَت ساره لم يكُن يملكُ إنشاً منها، بَل لم يكن يملِك حتى مساحة قَبرٍ يدفنُ فيه زوجته. والحالُ نفسه يتكرّر بالنسبة للوعدِ الإلهي لأفرهام بأنه سيُكثِرُ نَسلهُ ويجعل منه أمّة عظيمة وشعوباً كثيرة بعدد حبات الرمل الموجودة على شاطئ البحر وبعدد النجوم في السماء، في حين أن ابنه الوحيد يتسحق - والذي كان على وَشك أن يفقده هو الآخر- لم يكُن مُتزوّجاً حينها رغم أنه كان يبلغ من العمر سبعة وثلاثين عاماً.

بالتالي لَن يلومه أحدٌ إن قضى بقيّة حياته غارقاً في الحُزنِ والأسى، لكن أن أفرهام لم يفعل ذلك، وفي هذا الصَّدد تُخبرنا التوراة (عبر ترتيبٍ استثنائي لخمس كلماتٍ في اللغة العبرية) في الآية الثانية من المقطع الثالث والعشرين بالتالي: "**[ماتَت ساره ...] فأقبَلَ أفرَهمُ يندُبُها ويَبكيها**"، ثُمّ تأتي خلفها مباشرة هذه الآية: "**فَقامَ أفرهمُ مِن حضرةِ ميّتِهِ**". ومنذ تلك اللحظة وقفَ أفرهام على قدميه مُنطلقاً بمُنتهى العُنفوان واضِعاً نصب أعينه هدفين اثنين: الهدف الأول هو أن يشتري قِطعة أرض يدفنُ بها زوجته ساره، والهدف الثاني هو أن يَجِد زوجة لابنه يتسحَق. ولعلّنا نُلاحظ بأن هذين الهدفين يُجسّدان النَعمتين الإلهيّتين اللتين أنعم اللهُ بِهِما على بني يسرائيل: الأرضُ والنّسل. بالتالي لم يَنتَظِر أفرهام من الله عزّ وجلّ أن يتصرّفَ، حيثُ أدرَك أفرهام واحدة من أهم الأسس والمبادئ التي تقومُ عليها الديانة اليهودية: وهي أنّ **اللهُ عزّ وجلّ ينتظرُ مِنّا أن نتصرَّفَ.**

لكن السؤال الذي يطرحُ نفسهُ هُنا: كيف تمكّن أفرهام من تجاوز الحُزن والأسى والصدمة الأليمة التي مرّ بها؟ كيف استطاع أن يتجاوز فُقدانه لِشَريكة حَياته بعد أن كان على وشكِ أن يَفقِد فلذة كبِده؟ من أين أتى بالقُوّة الكافية للمضيّ قُدُماً رغم ذلك؟ ما الذي منَحهُ القُدرة على التَحمل والبقاء دونَ أن يفقدُ صَوابه؟

في الحقيقة لقد عثرتُ على إجابة هذه الأسئلةِ عن طَريقِ العديد من الأشخاصِ الذين أعتبرهُم أساتذة لي في الجُرأة الأخلاقية، وأخصّ بالذكر النّاجينَ من المحرقة (الهولوكوست) الذين حظيتُ بِشرف التعرّف عليهِم والتعلّم منهُم. فلطالما كنتُ أتساءل بيني وبين نَفسي: كيف لهؤلاء الناس أن يواصِلوا مسيرة الحياة بالرغم مما شاهَدوه وعايَشوه في المَحرقة؟ خاصة وأننا نعلمُ بأن الجنودَ الأمريكيين والبريطانيين الذين حرّروا اليهودَ من معسكرات الموت النازية لم يتمكّنوا من تجاوز أو نسيان ما رأوه أو شاهدوه حينها. وتِبعاً لِنيال فِرجوسِن كاتِب السيرة الذاتية لِهِنري كِسِنجِر[1]، فإن المشاهِد التي رآها هِنري عِندما دخل مُعسكرات الموت النازية قد قلَبت حياته رأساً على عَقِب. بالتالي إن كان هذا حالُ الجنود الذين بالكادِ رأوا ما حدثَ من عذابات في مُعسكر برچن بيلسين وغيرها من معسكرات الموت النازية، فكيف سيكون حال أولئك الذين عاشوا فعلاً في تلك المُعسكرات وعايَشوا عذاباتها ورأوا بأُم أعينهِم العدد الهائل من البشر الذين قُتلوا أمام أعينهم؟ وحسبَ مَعرفتي بالكثير من الناجين من الهولوكوست فإنهم كانوا من أكثر الناس تشبّثاً بالحياة بعدها، لذا أردُت أن أفهم كيف تمكّنوا من المضيّ قُدُماً في الحياة بعد هذه التجربة الأليمة.

وبنهاية المطاف أدركتُ السرّ الكامن وراء ذلك، فالكثيرُ منهُم لم يتحدّثوا عن ويلات ومآسي الماضي حتى مع أزواجِهم وزوجاتهم وأبنائهم وأقرب الناس إليهم، وعِوضاً عن الحديث عن الماضي بدأوا ببناءِ حياةٍ جديدة في أرض جديدة، فتعلّموا لغتها وعاداتها وتقاليدها، وبدأوا يعمَلون في شتّى المهن والوظائف وتزوّجوا وأنجبوا الأولاد والبنات، فأصبحَت عوائلهم الجديدة بمثابة العائلة المُمتدة لعوائلهم التي فقدوها في المحرقة. لقد كانوا يَتطلّعونَ إلى الأمام بدلاً من الالتفاتِ إلى الوراء، فبَنوا مُستقبلهُم أوّلاً، وعندها فقَط بدأوا يتحدّثون عن الماضي وويلاته، بعد مضي أربعة أو خمسة عقود على ما حدث في المحرقة. وَفي بادئ الأمر كانوا يُحدّثون عوائلهم ومن ثمّ بدأوا بالحديث للعالم، لهذا **ابنِ مُستقبلَك أوّلاً، وعِندها فقَط بإمكانِك الحديثُ عَن الماضي.**

وبحسب ما تُحدّثنا التوراة، هنالك شخصيتان فقط ممّن نَظَروا للوراء، الشخصية الأولى فعلت ذلك بشكل صريح، والشخصية الأُخرى فعلت ذلك بشكل ضمنيّ. أما الشخصية الأولى فكانت نوح، رجل صالح بين أبناء جيله، والذي انتهى به المَطاف وهو يعصِرُ الخمرَ والنبيذَ ويشربه حتى الثّمالة. والتوراة لا تُخبرنا تَحديداً لماذا انتهى به المطاف هكذا، لكن بإمكاننا أن نُخَمّن السبب، حيثُ فَقَدَ نوحٌ عالمهُ بأكمله، وبينما كانَ هو وعائلته يتواجدون بأمان في الفُلك (السفينة)، فقد

غَرَقَ باقي البشر في الطوفانِ، خاصة وأنه كان من ضمنهم أصحابه وأحبائه وأقرانه. وفي موقفٍ كهذا لن يكون من الصعب علينا أن نتخيل كميّة الحُزن والأسى التي سيشعر بها هذا الرجل الصالح حين يعود بذاكرته إلى ما حدث، خاصة حين يُفكر بينه وبين نفسه إن كان بإمكانه أن يفعلَ شيئاً ليُنقذ أيّ عددٍ منهُم أو رُبّما إن كان بإمكانه منعُ وقوع تِلكَ الكارثة.
أما الشخصية الثانية فهي زوجة لوط، والتي خالَفَت أوامر المَلائكة ونَظَرَت للوراء لتَرى ماذا حَلّ بالمدن التي اختفت من الوجودِ حين التهمتها ألسنة اللهبِ والنّيران غضباً من الله على قوم لوط. وكان عِقابُها بأن تحوّلت على الفور إلى عَمودٍ من المِلح، وإن صحّ التعبير فإن التوراة صوّرَت تحديداً زوجة لوط على هيئة امرأة تطغى عليها مَلامح الفجأة والصدمة والحزن لدرجة أنها أصبحت عاجزة عن الحركة.

والخلفية وراء هاتين القصتين ستساعدنا كثيراً على فهمِ واستيعاب ما قام به أفْرهام بعد وفاة زوجته، فكانَ لهُ السّبقُ في تَرسيخِ هذا المَبدأ: ابن مُستَقبَلَك أوّلاً، وحينها فَقَط يُمكنكَ أن تبكيّ وتندُب على ما حدثَ في الماضي. وفي حال عَكَسنا تَرتيبَ هذين الأمرين فإن الإنسانَ سيُصبِحُ أسيراً لِلماضي ولن يتمكّن من التقدّم أبداً، بالتالي سيكون مصيرهُ كمصيرِ زوجة لوطَ التّي أصرّت أن تَنظُرَ إلى الخَلف عِوَضاً عن التقدّم نحو الأمام.

في الوقت نَفسه، فإن العُمقَ الموجودَ في هذه الحقيقة كان الدّافِع وراء أعمال شخصٍ يُعتبرُ من أشهرِ النّاجينَ من المَحرقة، وهو عالمُ النفس المعروف فِيكتور فرانكِل، حيث كان أسيراً في سجن أوشفيتز، وخِلال الاعتِقال كَرّسَ حياته كُل جُهده مُحاوِلاً مُساعدة باقي الأسرى في الإصرار على البقاء والحياة. وقد كتبَ عن تجربته وقصّته في أكثر من كتاب، أبرزها الكتاب المعروف *"الإنسانُ يبحثُ عَن مَعنى"* [2]، موضِّحاً عبرها بأنه حاوَل إيجاد مهمّة او عَملٍ مُحدد للأسرى داخِل مُعسكرات الموت بحيثُ تُشجّعهم على الحياة والبقاء، مهمّة لم يقوموا بها سابِقاً لكن باستطاعتهم القيام بها بلا شكّ. وقد كان لمنهجيّته الفضلُ في مضيّهِم نحو المُستقبل والبقاء في الحاضِر وتَرك الماضي جانِباً.

كما أن فيكتور فرانكل كان يُطبّقُ بنفسه مبادئهُ ونظريّاته، وبعد تحرير الأسرى من معسكر أوشفيتز النازي، أسّسَ فرانكِل مَدرسة لعِلم النّفس أطلقَ عليها اسم "العِلاج بِالمعنى"، مُستنداً إلى حقيقةِ بحثِ الإنسان عن معنىً لِحياته. في الوقت نفسه كانت مدرسة فرانكِل بمثابة نَظرية مُعاكسة لنَظريّات فرويد في عِلم النّفس والتي تقوم بالأساس على تحفيزِ الإنسان على التفكير والتعمّقُ في الماضي، في حين أن نظريّات فرانكِل كانَت تُعلّم النّاسَ كيفَ يُؤسّسون لِمُستقبلهم، أو بالأحرى حثّهم على الإصغاء إلى **صوتِ المُستقبل وهوَ يُناديهم.**

وفي تشابهٍ كبيرٍ بين حياةِ فرانكِل وأفْرهام، فقد عاش فرانكِل حياة طويلة وتوفّي عن عُمر يناهُز اثنين وتسعين عاماً، وذاع صيتهُ في كافة أصقاعِ الأرض، تماماً كأفْرهام الذي أنصَتَ جَيّداً لِصوت المُستقبل وهو يناديه بالرّغم من وفاة زوجته ساره وعدم زواج ابنه يتسحق. حينها لم يكن أفْرهام يمتلُكُ أرضاً ولا أحفاداً ينحدرونَ من نَسله، ولَم يوجّه صرخات الغضبِ والحسرة والحرقة إلى الله عزّ وجل، وعِوَضاً عن ذلك أنصَتَ جيّداً لذلك الصّوت الذي كان يقول له طَوال الوَقت: **الخُطوة القادِمة تعتمدُ عَليك**، عليكَ أن تَبنيَ المُستَقبَل الذي سأملأهُ بِروحانيّتي. هكذا صَمَد أفْرهام في وجهِ المصاعِبِ ومضى قُدُماً بالرغم ممّا عايشهُ من صدمة وحُزنٍ وأسى. وفي حال مَرّ أحدُنا بتجربة مماثلة من الحُزن والبأس - لا قَدّرَ الله - فهذا هو السبيل الوحيدُ لتجاوز تلك التجربة والمضيّ قُدُماً في الحياة.

إنّ حُضورَ اللهَ عزّ وجلّ يتجلّى في حياتِنا على هيئة نِداءٍ قادِمٍ من المُستقبل، وكأنه يومئُ لَنا عبرَ آفاقِ الزّمان ليحُثّنا على المَضيّ قُدُماً في رِحلةِ البَحث عن الغاية والمُهمّة التي خلقنا اللهُ من أجلِها، والتي قد يَصعبُ علينا فهمها في بعض الأحيان. إن هذا هو المَعنى الحرفيّ لكلمة **"مِهنة"**، إنها مَهمّة ونِداءُ ورِسالةٌ علينا أن نلبيَ نِداءها حين نَسمعُ النّداء.

كما أنّ وجودنا ليسَ من محض الصّدفة، بل نحنُ موجودون لأن الله عزّ وجلّ أرادنا أن نكونَ مَوجودين في المكان الذي وُجِدنا فيه، لهذا فنحنُ مُكلّفون بمَهَمّةٍ محددة ينبغي علينا تَنفيذها. وإدراك هذه الغايةِ او المهمّة التي نحن موجودونَ من أجلها هو أمر صعبٌ جداً، ولربّما يستغرقُ منّا الأمر سنين طويلة وبدايات خاطئة حتى نَتمكّن في نهاية المطاف من اكتشافها. لكن علينا أن نُدركَ وجودَ نداءٍ إلهيّ لكُل إنسان منّا، وبأنه يوجدُ مُستقبلٌ قادِمٌ لا زال ينتظرنا حتى نبنيه، وهذا هو التّوجّهُ المُستقبلي الذي يُعرّفُ اليهودية كديانة ومُعتقد مثلما وضّحت في الفصل الأخير من كتابي *"صيغةُ المُستقبل"*. [3]

إنّ مشاعر الغضبِ والكراهية وحالة الاستياء والسخط في هذا العالم تُعزى في كثير من الأحيان إلى أولئك المُستغرقين في ماضيهم، لدرجة أنهم يُصبحون عاجزين عن المضي قُدُماً في حياتهم، تماماً مثلما حدث مع زوجة لوط التي تجمّدَت في مكانها، إذ لا توجدُ نهاية سعيدة لقصّة قائمة على الاستغراق والهَوَس بما حدثَ في الماضي، والنهاية لمثل هذه القصص ستكون المزيد من المآسي والدموع. لقد كانت مَنهجيّة أفرهام مثلما رأينا في هذا النصّ الأسبوعي الذي يحمل عنوان **"حَيي ساره"** مُختلفاً تماماً، لهذا ابن مُستَقبَلَك أوّلاً، وحينها فَقَط يُمكنكَ أن تَبكي وتندُبَ على الماضي.

---

1. Niall Fergusson ,*Kissinger: 1923–1968: The Idealist (*London: Penguin Books, 2015)
2. Viktor E. Frankl ,*Man's Search for Meaning: An Introduction to Logotherapy* ,translated by Ilse Lasch (Boston: Beacon Press, 1992)
المصدر: كتاب فيكتور فرانكل "الإنسان يبحثُ عن معنى"
3. Jonathan Sacks ,*Future Tense: Jews, Judaism, and Israel in the Twenty-first Century (*New York: Schocken Books, 2012)

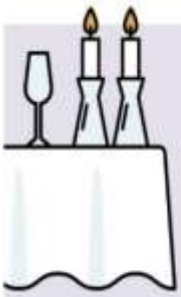

حَولَ مائِدةِ يومِ السَبتِ المُقَدَّسِ: أَسئِلةٌ لِلتَّأَمُلِ

1- ما هو الفرقُ بين مفهوم الإله عند الحضارة اليونانية القديمة (إله أرسطو) مقارنةً بمفهوم الإله عند اليهود (إله أفرهام/ إبراهيم)؟

2- لماذا يُعتبرُ التركيز على المستقبل أكثر من الماضي أمراً صحيّاً؟

3- ماهي الأمور التي من شأنها تأييدُ فِكرة أن الله عز وجل هو "إله صيغة المستقبل" في الديانة اليهودية؟

● These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at **https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/chayei-sarah/a-call-from-the-future/**

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism*, *Bar Ilan University*